

جزين : بؤس التعايش . مسألة الجوار وبيع الأراضي و ... وعد ميشال عون الخلاصي 2 من 2

حازم صاغية بيسان الشيخ نشر في الحياة يوم 25 - 11 - 2013

بعد أن تناولت حلقة الأمس ماضي الاصطياف وحاضر القلق الطائفيّ والإقليميّ، هنا التتمة الأخيرة:

لا يستطيع الجزّينيّ، بسبب معاناته مع فائض الجغرافيا، أن يفكّر بنفسه إلّا من خلال جواره. والحال أنّ التاريخ هناك س... ف
المرارة والألم اللذين تذكّر بهما أحداث 1860، وهي التي كانت على وشك أن تتكرّر مع حرب الجبل في الثمانينات. وإذ ي...
ترسم العلاقة بالسنّة والشيعة لوحات أعقد.

الجوار الصيداويّ

مدينة صيدا التي هي سوق الجزينيّين التجاريّة ومقصدهم الخدميّ كانت أيضاً مصدراً لبعض مصطافيهم، خصوصاً منه... مو
وهذا ما حمل الجزّينيّين تقليديّاً على رصد شهر رمضان بشيء من القلق: فإذا حلّ شتاءً كان الأمر بشيراً "لأنّهم سيصطافو... عند
هكذا، استلزمت مصلحة الطرفين وتجاورهما علاقة سويّة ومؤدّبة لا تسمو إلى صداقة ولا تنحطّ إلى عداوة. وبقيت هناك، ...
جزّينيّين لمعروف سعد، نائب صيدا الراحل، الذي كان يصطاف في بكاسين. وهو ما استؤنف، بمزيد من الطقوس والكلفة وا...
الحاليّة، والتي تحرص على دعوة وجهاء جزّين إلى مناسباتها العامّة. وعلى العموم، لم ينقطع تبادل "الواجبات" الاجتماعيّة بين
لكنْ، في تلك الغضون، اهتزّت العلاقة اهتزازاً حادّاً في الثمانينات، مع الحرب في شرق صيدا وحواجز "القوّات اللبنانيّة" التي ا...
تستشير في ذلك الجزينيّين الذين دفعوا أكلافها لاحقاً. وكان مؤلماً، خصوصاً، هدم المجمّع الضخم، الطبّيّ والتعليميّ، الذي أنش...
بذريعة أنّه مشروع ل "أسلمة لبنان".

أمّا اليوم فلا يُخفي أهل جزّين، المرتاحون عموماً إلى صيدا، برمهم ببعض ما يصدر عنها، ك "حركة" الشيخ أحمد الأسير ا...
موسم السياحة وإضعافه. "ذاك أنّ موسمنا، يبدأ في 20 حزيران يونيو، وفي الوقت نفسه بدأ الأسير حركته هذا العام". كذلك يا...
من صعود الصيداويّين "كي لا يُتّهموا في مدينتهم بأنهم يشربون عندنا".

لكنّ هذا لا يرقى إلى المشكلة المعقّدة المتّصلة ببيع الأراضي. فهنا، وحيال مخاوف الطوائف الضعيفة من الطوائف الأقوى، ...
الرأسماليّة وسيولة البيع والشراء، وطي صفحة الدستور في ما خصّ حقّ اللبنانيّ، أيّ لبنانيّ، في التملّك في أيّة منطقة من لبنا...
ذاك أنّ الجزّينيّين الذين يأتيهم الخوف من تحت الأرض يخيفهم شراء الأرض في قضائهم. فقرية كفر جرّة، مثلاً، القريبة من ...
سكنيّة"، أمّا جائزة الترضية فجسّدتها تسمية الجامع الذي أقيم هناك "جامع عيسى بن مريم". وثمّة من يخشى أيضاً، وامتداد...
فلسطينيّون من عين الحلوة أراضي في جزّين.

الجوار الجنوبيّ

وهذه تتخللها مراكز تجاريّة تضمّ مزارع دجاج ومصانع موادّ غذائيّة، ما نمّى بلدة كاملة"على أطرافنا، يسكنها شيعة من المن
جائزة ترضية، إذ إنّهم، وبأموال قطريّة، رمّموا كنيسة قرية القطران هناك. ويبدو أنّ حركة بيع الأراضي، التي اعترضت عليه
الشوف، شمال جزّين، ممّن يشاطرون الجزّينيّين هواجسهم الأقلّيّة.
صحيح أنّ شراء الأرض الذي يهبّ من صيدا يفوق كمّاً مثيله الجنوبيّ والبقاعيّ، غير أنّ أموراً ثلاثة تجعل الشراء الشيعيّ أشدّ

فهو، أوّلاً، ذو بعد أمنيّ مباشر. ذاك أنّ"حزب الله"أنشأ مواقع عسكريّة له على تلال جزّين، فبات يمنع المزارعين هناك من قطف
عدم المساس بأمن المقاومة.
ووفق سيمون كرم، جعل"حزب الله"جزّين، منذ التحرير في 2000، قاعدة خلفيّة له، إلّا أنّه حوّلها، بعد حرب 2006، قاعدةً ر
وصولاً إلى البقاع.
والشراء الشيعيّ، ثانياً، مكتفٍ بذاته، لا يؤدّي إلى أيّ اتّصال بالحياة الجزّينيّة وطرقها. وهذا يخالف الوضع في ما خصّ صيدا،
تتّسع وتضيق، بيد أنّها لا تختفي. ف"حزب الله"الذي بات يتحكّم بالخيار الثقافيّ اليوميّ للشيعة وينشر الحسينيّات في قراهم، ي
أو موسيقى وغناءً. وقد حدّثنا أحد الجزّينيّين عن محاولة لمدّ الجسور بعد حرب تمّوز، حيث أقيم احتفال بانتهاء الحرب وعود
القضاء. لكنّ أحداً من"حزب الله"لم يحضر بسبب اشتمال الحفل على برنامج فنّيّ.

وأخيراً، هناك الحضور الشيعيّ في قضاء جزّين الذي يرفع، والحال على ما هي عليه، سويّة التوجّس. فثمّة، في القضاء، قرية
في قرية الجرمق، وكذلك قرية درزيّة لا غير هي السريرة، وبعض الدروز في قرية عاراي. بيد أنّ أكثر من نصف قرية رو
كفرحونة المسيحيّين، بينما معظم عرمتى ومليخا من الشيعة أيضاً. وبذلك صار الشيعة خُمس الكتلة التصويتيّة في قضاء جزّي
تقلّصوا إلى سُدسها.
صحيح أنّ الذاكرة الجماعيّة للجزّينيّين لا تنطوي على عداء للشيعة. وفي الستينات، حين كان زعيم الشوف كمال جنبلاط متد
الجزّينيّون"يأخذون روحاً"بزعامة كامل الأسعد في الجنوب. وحتّى مع موسى الصدر الذي أثارت حركته بعض قلقهم، ظلّ الدف
حقبة الاحتلال الإسرائيليّ ومضاعفاته أسّست أحقاداً وخلّفت ذيولاً نفسيّة حيال"حزب الله". وهذا ما لم يستطع ميشال عون، ب
سيّما أنّ الامتدادات الاجتماعيّة لتحالف كهذا معدومة، لا يتيحها تكوين الحزب المغلق على أيديولوجيّته وطقوسه وعالمه المضا
عون المخلّص
في ساحة جزّين تبدو صورة ميشال عون الأكبر بين صور قليلة لسياسيّين. فزعيم"التيّار"شكّل، في انتخابات 2009، لائحة م
المقاعد الثلاثة ومعها بلديّات القضاء. جاء هذا بعد مقاطعة الجزّينيّين الدورات الانتخابيّة السابقة، استجابةً لدعوة الكنيس
الانتخابيّ الذي ألحق جزّين المسيحيّة بالجنوب الشيعيّ.
هكذا، ووفق الياس قطّار، قضم"التيّار"الزعامات التقليديّة وبات يمثّل ما بين 60 و65 في المئة، معطياً الشباب المهمّش سياسيّ

لكنْ، كيف أصبح عون ملك جزّين، على رغم تحالفه مع"حزب الله"؟
تجيب عن هذا السؤال أسباب منها البسيط ومنها الأكثر تعقيداً.
فعائلة عون كبيرة في جزّين، موزّعة على قرى عدّة، ومنها كان أسلاف ميشال عون قد انتقلوا إلى حارة حريك بعد مذابح 860
الزميل أنطوان الحاج، لم تقوَ مرّةً في البلدة ولم تتمكّن. فهي نمت نسبيّاً في قرى القضاء الصغرى، أو في العائلات الصغيرة
الصعود العونيّ اللاحق. وقد ضمّت العونيّة، في من ضمّت، مهاجري أوائل الستينات إلى ضواحي بيروت الشرقيّة في عين الرم
في حرب السنتين، مقاتلين من بينهم يدافعون عن أحيائهم وشوارعهم أكثر ممّا ينشدّون إلى الأحزاب المسيحيّة المقاتلة. كذلك

وتطاحنهم. ولئن تمكّن الإعلام العونيّ، لا سيّما محطة"أو تي في"غير المعروفة بالذيوع والانتشار، من أن تنتشر في جزّين
السابق عدد من كبار المتموّلين في عدادهم غازي الحلو، شقيق رئيس البلديّة وليد الحلو، وعصام صوايا الذي صار نائباً، وشقي
أبعد من ذلك أنّ دعوة"الجنرال"جاءت تستثمر مقت الجزّينيّين ل"القوّات اللبنانيّة"، خصوصاً منهم المقيمين في بيروت. فهؤلا
عليهم، ولا نسوا حواجز"القوّات"في المنطقة، في الثمانينات، بمضايقاتها للسكّان الذين تعوّدوا المكوث ساعتين أو ثلاثاً على ا
أهمّ ممّا عداه أنّ العونيّة استنطقت في الجزّينيّين ذمّيّةً سهّلها الاستضعاف المترتّب على الاحتلال الإسرائيليّ وعلى مقاومته،
على تلك الذمّيّة. وهي سيرة تبدأ مع سيطرة نبيه برّي على قرار الجزّينيّين المهيضي الجناح وعلى تمثيلهم السياسيّ.

وكانت نيابة النائب السابق سمير عازار التعبير المحلّيّ عن"هيمنة برّي"التي اتّخذت أشكالاً عدّة. فمثلاً، حين انضمّ النائ
روكز"المعارض في 1997، عاقبه الزعيم الشيعيّ باستبعاده عن لائحته. وفي انتخابات 2000 تضامن الجزّينيّون مع سالم بأ
آلاف الأصوات الجنوبيّة، في ظلّ وحدة الدائرة، أسقطته.

ويرى إدمون رزق، في هذا المعنى، أنّ الالتفاف حول عون ردّ فعل على الأخطاء الكثيرة المرتكبة بحقّ الجزّينيّين. وعون، من
نقطتين: أنّه"سيستردّ"جزّين بعدما أُخضعت لزعامة شيعيّة، وأنّه سيحميها بفعل تحالفه مع"حزب الله".

بيد أنّ النتائج لبست لبوس المفارقات. فصعود العونيّة رافقه التمدّد العسكريّ ل"حزب الله"على تخوم جزّين. وهذا فضلاً عن أ
طريقة الحياة، قياساً بمراعاة حزب الله. أمّا الذين أحلّهم عون محلّ سمير عازار فقليلون جدّاً من لا يقرّون بتفوّقه عليهم.

فعازار، ابن المحامي والسياسيّ إبراهيم عازار، أحد المعبّرين عن تقليد الاعتدال الجزّينيّ. هكذا، لم تحلْ برّيّته دون بنائه علاقا
فيها آل الحريري. غير أنّه مطّ هذا الاعتدال كثيراً في زمن التمدّد العسكريّ والسياسيّ الشيعيّ وتعثّر جزّين في إنتاج روايته
موقعه التقليديّ في بلدته وتوفيره غطاءً مارونيّاً لبرّي بحصوله على خدمات لجزّين قدّمها"مجلس الجنوب"، كشقّ طريق
والكهرباء، ودفع تعويضات للمتضرّرين الجزّينيّين في حرب لحد و"حزب الله".

أمّا النوّاب الحاليّون فكلّ كلام عنهم يعرّج على المشاحنات في ما بينهم. وهو ما يكمّله حال المجلس البلديّ لجزّين ولبلدات أخر
عن الوفاء بتعهّدهم التزام مبدأ المداورة في ما بينهم. فوق هذا لا يزال صعود أولئك النوّاب أقرب إلى فورة انقلابيّة يُستعاض
تمثيلهم. ذاك أنّ أحدهم، زياد أسود، مناضل عونيّ سابق ينتمي إلى إحدى أصغر العائلات التي لم تعش قبلاً في البلدة. أمّا ميش
برّانيّته في أنّ والده دُفن خارج جزّين، فيما الثالث، عصام صوايا، ف"جديد على المنطقة"، عائلته محصورة في قرية كفر حون
وهم، إلى هذا، ردّوا على مبالغة عازار في الاعتدال بالمبالغة في التجرّؤ على الاعتدال."فنحن ليس من عاداتنا شتم زعماء ال
قال أحدّ الجزّينيّين. وهو ما تغيّر مع النوّاب العونيّين الذين يتهجّمون على الزعامتين الجنبلاطيّة والحريريّة في الشوف وصيدا،
شقيقهم الحزبيّ الأكبر. فحين تُطرح مثلاً مسألة من بقوا في إسرائيل، يتكشّف الخلاص العونيّ عن عجز كامل.

ويتبدّى، على نحو موعى أو غير موعى، كأنّ التعلّق بعون، حليف"حزب الله"، ينطوي على لحظة تكفير عن ذنب"التعامل مع
وهو ما وُصم به الجزّينيّون فيما حُرموا القدرة على تفنيده.

المكان المهجور

واليوم تلوح جزّين كئيبة، تكاد أن تكون مهجورة. فسنوات الاحتلال قطعتها عن بيروت وعن جيل من أبنائها نما خارجها. و
الجنوب على حاله، بلا استثمار ولا مستثمرين. لكنْ، بعد 2001 عاد البعض إلى جزّين متفقّدين قراهم وبيوتهم، كما انتعشت حر
مدار العام. وعندما أتيح البناء بلا تراخيص، شهدت المنطقة فورة إعمار استمرّت حتّى الانفجار السياسيّ في 2005 الذي أخمد
وكان، ولا يزال، ما يضاعف الانقطاع تردّي التعليم. فهناك اليوم ثلاث ثانويّات فقط في القضاء كلّه، واحدة خاصّة واثنتان رسم
مدرسة رسميّة في 1974. ويقول أنطوان رزق إن الجزّينيّين يحضّون، من سنوات، جامعتي الروح القدس والأنطونيّة على إقام

فالمقيمون في القضاء كلّه لا يتجاوزون شتاءً العشرين ألفاً، ولئن بلغ عدد مقترعي قرية قيتولي 2700 مقترع، فإنّ المقيمين بلديّتها فؤاد الحاج فيحدّثنا عن تعاظم الهجرة إلى بيروت لأسباب شتّى، خصوصاً أنّ فرص العمل خفّت وأن هناك مدارس تقلّص بكاسين مثلاً تضمّ 86 تلميذاً سوريّاً و10 تلامذة لبنانيّين.

وتعيش جزّين تقليديّاً على السياحة ومقلع الحجر والوظيفة الرسميّة، وعلى مواسم الزيت والصنوبر والتفّاح الذي تنتج منه الجيش اللبنانيّ يشتري معظمها إلى أن توقّف في 2009. غير أنّ المواسم كلّها عانت آثار الوضع السياسيّ وانعكاسه على الع السوريّة. ولئن اعتادت البلديّة إقامة مهرجانات فنّيّة كلّ صيف، يحضرها خمسون ألفاً على مدى 20 يوماً، فهذا ما توقّف الـ البلديّة وما رافقه من تهم بالفساد.

ويعيش اليوم في بلدة جزّين قرابة 1300 سوريّ معظمهم من دير الزور. لكنّ الذين هم أكراد منهم يعرّفون عن أنفسهم بـ من"السوريّة". بيد أنّ أنطوان رزق، ومن موقعه كربّ عمل، يشرح الحاجة الماسّة إلى العمالة السوريّة لأنّ العامل اللبنانيّ" يأتي موسم الصيف".

وهذا، على أيّ حال، ليس الشعور السائد إذ يُمنع على السوريّين التجوّل في البلدة بعد السابعة، حيث"الوضع مضبوط بين مخاب وفق رواية أحدهم،"اتّخذت قراراً بإعادة بعض السوريّين ممّن يسكنون في محالّ أو كاراجات أو خيم غير مجهّزة ومكتظّة و فؤاد الحاج عن قيتولي، حيث العونيّون يسيطرون أيضاً على البلديّة، أنّ هناك ما بين عشرين وثلاثين عاملاً سوريّاً لم تنضمّ هويّاتهم ورفعناها إلى المؤسّسات الأمنيّة، وأفهمناهم أنّكم تعملون هنا وأنّ من يريد منكم أن يقاتل فليذهب إلى هناك".

والبؤس له دائماً وجوه عدّة تتداخل وتتوزّع بين"هنا"التي يقيم فيها الكثير من"هناك"، وال"هناك"التي غالباً ما تصير"هنا".

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.



مواضيع ذات صلة

- جزين: بؤس التعايش... مسألة الجوار وبيع الأراضي و... وعد ميشال عون الخلاصيّ (2 من 2)
- جزين: بؤس التعايش من ماضي الاصطياف إلى حاضر القلق الطائفيّ والإقليميّ (1)
- "رسالة صغيرة" من جزين الى "اللائحة الهائلة"
- صيدا أمام مواجهة بلدية والبزري على الحياد ومنازلة في جزين تعيد خلط الأوراق السياسية
- التحالف الشيعي ينشط لتركيب اللوائح الائتلافية ويعمل لتطويق حالات "التمرد"!صيدا أمام مواجهة بلدية والبزري على الحياد ومنازلة في جزين تعيد خلط الأوراق السياسية